IUGJEPS
Vol 30, No 2, 2022, pp 668-701

ISSN 2410-5201

مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة – تفسير – حديث)

تاريخ الإرسال (2021-3-12)، تاريخ قبول النشر (2021-4-26)

اسم الباحث الأول: وفاء عبد المنعم الشله *

اسم الباحث الثاني: أ.د. عطاالله بخيت المعايطة

[1] اسم الجامعة والبلد (للأول): أصول الدين ـ الشريعة ـ الاردنية ـ الاردن

[2] اسم الجامعة والبلد (للثاني): أصول الدين ـ الشريعة ـ الاردنية ـ الاردن

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: wafaashelleh1956@gmail.com

نواقض التوحيد عند المشركين وأهل الكتاب وسبل دعوتهم إلى التوحيد

https://doi.org/10.33976/IUGJIS.30.2/2022/21

الملخص:

بينت في بحثي هذا معنى التوحيد وأنواعه الثلاثة الربوبية والألوهية والأسماء والصفات وما بينها من ترابط، وأن مشركي قريش وأهل الكتاب كانوا يقرون بوحدانية الله سبحانه في ربوبيته؛ لأنه أمر مركوز في النفوس، وقد دل عليه ضرورة العقل، ولكن قد وقع مشركو قريش وأهل الكتاب بنواقض للتوحيد تجعل توحيدهم لله سبحانه في ربوبيته غير مقبول منهم، وقد بينت تلك النواقض من خلال نصوص القرآن والسنة، وبينت سبيل النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة المشركين وأهل الكتاب إلى التوحيد.

كلمات مفتاحية: التوحيد، نواقض التوحيد، الأسماء والصفات

The nullifiers of monotheism among the polytheists and the People of the Book, and the ways of calling them to monotheism

Abstract:

This study aimed to identify the definition of monotheism and its three types Unification of Allah, divinity, Nouns and adjectives, and the interconnectedness among them, and that Quraish's polytheists and People of book were acknowledge the unity of Allah almighty in his Deism, because it a matter establish in the soul, and was indicated by the mind, but the polytheists of Quraish and people of book were fell in nullifiers of monotheism that make their monotheism to Allah almighty in his deism unacceptable from them. As those nullifiers were clarified by Holy Qur'an and Sunnah, and the way of Prophet Mohammed – PBUH- in his call to polytheists and People of the Book for monotheism.

Keywords: Monotheism, Nullifiers of monotheism, Nouns and adjectives

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين

وبعد، بما أن التوحيد هو أصل الدين، والتعمق في معناه؛ لتحقيقيه في حياتنا واجتناب ما يناقضه يستدعي منا معرفة نواقضه عند غيرنا وسبل دعوتهم إليه، اخترت كتابة بحثي في نواقض التوحيد عند المشركين وأهل الكتاب، وسبل دعوتهم إلى التوحيد، سائلاً الله تعالى أن يتقبله مني وأن ينفع به إنه جواد كريم.

حدود البحث:

رأيت تحديد دائرة البحث في نواقض التوحيد عند المشركين وأهل الكتاب وسبل دعوتهم في القرآن الكريم وصحيح السيرة النبوية؛ تجنبا للإطالة التي لا تتناسب مع كتابة مثل هذه البحوث.

مشكلة البحث:

يجيب هذا البحث على العديد من الأسئلة منها ما يلي:

- ما معنى التوحيد وأنواعه؟
- ما نواقض التوحيد عند مشركي قريش وأهل الكتاب؟
- ما هي سبل الدعوة إلى التوحيد؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

- بيان معنى التوحيد وأنواعه.
- بيان نواقض التوحيد عند مشركي قريش وأهل الكتاب.
- بيان سبل الدعوة إلى التوحيد.

أهمية البحث:

تبرز أهمية هذا البحث من خلال ما يلي:

- يزيد من التدبر في آيات القرآن الكريم.
- يرشد إلى السبيل النبوي القويم في دعوة المشركين وأهل الكتاب إلى التوحيد.
- يرسخ عقيدة التوحيد في قلب المسلم ويحذره من نواقضه.

المنهج المتبع:

اقتضت طبيعة بحثي هذا أن أتبع فيه المنهجين التاليين:

- **المنهج الاستقرائي:** إذ إنني تتبعت آيات القرآن الكريم في بيان نواقض التوحيد، التي وقعت من مشركي قريش وأهل الكتاب،

وتتبعت أحداث السيرة النبوية؛ لمعرفة سبل دعوتهم إلى التوحيد.

- **المنهج الاستنتاجي:** إذ إنني أستنتج من هذه النصوص القرآنية والنبوية نواقض التوحيد، التي وقع فيها المشركون وأهل الكتاب، وسبل دعوتهم إلى التوحيد.

الدراسات السابقة

بعد البحث وسؤال أهل العلم، وجدت الدراسات التالية مما له صلة بدراستي:

- **منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى التوحيد كما تصوره سورة يونس، دراسة عقدية.**

للباحث: فائق على سعيد بني ارشيد، بإشراف: د. شريف الخطيب، ماجستير، جامعة آل البيت،1425هـ،2004م. هذه الدراسة أضيق في موضوعها من دراستي؛ إذ إنها منحصرة في موضوع الدعوة إلى التوحيد، ومن خلال سورة قرآنية كريمة وهي سورة يونس، بخلاف بحثي الذي يتحدث عن نواقض التوحيد عند المشركين وأهل الكتاب، وهو صلب البحث، ثم يأتي الحديث عن سبل دعوتهم إلى التوحيد من خلال القرآن والسنة تبعاً.

- **منهج القرآن في ترسيخ عقيدة التوحيد.**

للباحث: عبد الرحمن صالح الوعيل، بإشراف: د. حسن محمد الأهدل، رئيسا، و د. صالح يحيى صواب مشاركا،عام2010م. جامعة صنعاء، كلية الآداب، قسم الدراسات الإسلامية. هذه الدراسة –أيضاً– أضيق من نطاق دراستي لكونها منحصرة في الحديث عن المنهج القرآني في ترسيخ عقيدة التوحيد، بخلاف بحثي الذي هو أوسع من حيث الموضوع ومن حيث حدود البحث –كما سبق–.

- **أساليب الدعوة ووسائل الإقناع في السنة النبوية، جمع ودراسة تحليلية.**

للباحث محمد الأمين الحاج، بإشراف د. بابكر حمد الترابي، دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية،1428هـ،2007م. هذه الدراسة تتحدث عن أساليب الدعوة ووسائل الإقناع في السنة النبوية، بصورة عامة، بخلاف دراستي التي من ضمنها بيان أساليب الدعوة النبوية إلى التوحيد خاصة، وهو أوسع من هذه الدراسة إذ إنه يبين نواقض التوحيد عند المشركين وأهل الكتاب من خلال القرآن الكريم وصحيح السيرة النبوية.

- **نواقض الإيمان القولية والعملية.**

للدكتور عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، دار الوطن للنشر، الطبعة الثانية، 1427هـ. رسالة دكتوراه، بإشراف د. سالم بن عبد الله الدخيل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وهذه الرسالة تتحدث عن نواقض الإيمان بصورة عامة، بخلاف بحثي فإنه يتحدث عن نواقض التوحيد خاصة وعند مشركي قريش وأهل الكتاب خاصة، ويزيد على ذلك سبل دعوتهم إلى التوحيد، وكل ذلك من خلال القرآن الكريم وصحيح السيرة النبوية.

خطة البحث:

قد اشتمل هذا البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وهي كما يلي:

المقدمة وتشتمل على حدود البحث ومشكلته وأهدافه وأهميته والمنهج المتبع فيه وخطته والدراسات السابقة فيه

المبحث التمهيدي: التوحيد وموقف المشركين وأهل الكتاب من الإيمان بوجود الله

وتحته أربعة مطالب، هي:

المطلب الأول: معنى التوحيد وأنواعه لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: العلاقة بين أنواع التوحيد الثلاثة.

المطلب الثالث: موقف المشركين، وأهل الكتاب، من الإيمان بوجود الله وربوبيته.

المطلب الرابع: أسباب الإيمان بوجود الله عند أغلب الأمم.

المبحث الثاني: نواقض التوحيد عند مشركي قريش وأهل الكتاب، وتحته ثلاثة مطالب، هي:

المطلب الأول: نواقض التوحيد عند مشركي قريش.

المطلب الثاني: نواقض التوحيد عند اليهود.

المطلب الثالث: نواقض التوحيد عند النَّصارى.

المبحث الثالث: سبل دعوة المشركين وأهل الكتاب إلى التوحيد، وتحته ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: دعوة النبي صلى الله عليه وسلم المشركين إلى كلمة التوحيد.

المطلب الثاني: دعوة النبي صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب إلى كلمة التوحيد.

المطلب الثالث: حوار أهل الكتاب بالتي هي أحسن.

المطلب الرابع: محاورة النبي صلى الله عليه وسلم للمشركين.

المطلب الخامس: الجهاد في سبيل الله.

الخاتمة: فيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث التمهيدي: التوحيد وموقف المشركين وأهل الكتاب من الإيمان بوجود الله

يمكننا من خلال هذا البحث بيان معنى التوحيد وأنواعه وما بينها من ترابط، وموقف المشركين، وأهل الكتاب، من الإيمان بوجود الله وربوبيته، وبيان السبب فيه. وذلك من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: معنى التوحيد وأنواعه لغة واصطلاحا

يبرز الباحث معنى التوحيد وأنواعه من خلال النقاط التالية:

1-التوحيد لغة: مصدر وحّد يوحد توحيدا أي جعله واحدا. فهي كلمة تدل على التفريد، وعدم الشريك(1).

2- **التوحيد اصطلاحا:** إفراد الله سبحانه بالربوبية والألوهية وكمال الصفات (2).

3- **أنواع التوحيد:** من خلال استقراء آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، نجد أن التوحيد له ثلاثة أنواع، هي: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات(3).

وبعد معرفة معنى التوحيد، يحسن أن نعرف معنى الرب والإله والأسماء والصفات؛ كي نعرف معاني هذه الأنواع الثلاثة من التوحيد، وذلك من خلال النقاط التالية:

أولا: معنى الرَّبّ لغة: معنى الرَّبّ لغة المالك والسيد والمصلح

قال الأزهري: يقالُ: فلانٌ رَبّ هَذَا الشَّـيْء، أَي مِلْكه لَهُ.

وكُل مَن مَلك شَيْئا فَهُوَ رَبُّه...ابْن الأَنباريّ: الرَّبّ: يَنْقسم على ثَلَاثَة أَقْسام: يكون الرَّبُّ: الْمَالِك؛ وَيكون الرَّبّ: السيّدُ المُطاع، قَالَ الله تَعَالَى: (فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا) [يُوسُف: ٤١]، أَي سَيّده؛ وَيكون الرَّبُّ: المُصْلح.

رَبَّ الشيءَ، أَي أَصْلحه؛ قَالَ: ويُقال: رَبٌّ، مشدَّد، ورَبٌ، مُخَفَّف،....

وَلَا يُقال الرّب بالألف وَاللَّام، لغير الله(4).

وقد فسر الطبري كلمة (ربكم) في قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [الأعراف: ٥٤]، بقوله: سيدكم ومصلح أموركم(1).

---

(1) انظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، جـ9، ص266. ومصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، جـ2، ص1016. والفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، جـ2، ص650.

(2) انظر: عفيفي، مذكرة التوحيد، ط1،ص3. والإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، جـ1، ص915. والسفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، جـ1، ص57.

(3) انظر: السفاريني، لوامع الأنوار البهية، جـ1، ص128.

(4) الأزهري، تهذيب اللغة، جـ15، ص128.

بناءً على ما سبق نستطيع أن نعرّف توحيد الربوبية بأنه: الإيمان بأنَّ الله سبحانه هو الخالق المالك، لهذا الكون المتصرِّف المدبّر لشؤونه وحده لا شريك له.

ثانيا: معنى الإله في اللغة:

معنى الإله في اللغة المعبود،قال الفيومي: "(ء ل ه): أَلِهَ يَأْلَهُ مِنْ بَابِ تَعِبَ إلَاهَةً بِمَعْنَى عَبَدَ عِبَادَةً وَتَأَلَّهَ تَعَبَّدَ وَالإِلَهُ المَعْبُودُ وَهُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ثُمَّ اسْتَعَارَهُ الْمُشْرِكُونَ لِمَا عَبَدُوهُ مِنْ دُونِ اللهِ تَعَالَى وَالْجَمْعُ آلِهَةٌ فَالإِلَهُ فِعَالٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ مِثْلُ كِتَابٍ"[2].

ومما يدل على أن معنى الإله المعبود من القرآن الكريم ما يلي:

1: قوله تعالى: (قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا، إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) [طه: ٩٧-٩٨]، فمعنى الإله في هذه الآية المعبود[3] كما هو واضح ولا يحتمل معنى آخر.

2: قال تعالى: (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) [المؤمنون: 117].هنا (الإله) لا يمكن أن يكون معناه الرَّب الخالق، ولكن يمكن أن يكون بمعنى المعبود، لأنّ من عُبد بحق أو بباطل فهو معبود حقيقة.

قال الطبري في تفسيره هذه الآية: "يقول تعالى ذكره: ومن يدع مع المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له معبوداً آخر، لا حجة له بما يقول ويعمل من ذلك، ولا بينة"[4].

3: قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ) [الزخرف: ٨٤].

سياق الآية واضح في أن معنى الإله فيها المعبود.

قال السمعاني: "قَوْله تَعَالَى: (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ) أَي: معبود فِي السَّمَاء وَالْأَرْض"[5].

وبناءً على المعنى اللغوي للإله يتضح لنا أن معنى توحيد الألوهية اصطلاحاً: إفراد الله سبحانه بالعبادة.

وقد قرّر هذا المعنى القرآن الكريم في آيات كثيرة، كقوله تعالى:(وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) [الإسراء: ٢٣].

أي: "أَمَرَ أمراً جزماً، وحكماً قطعاً، وحتماً مبرماً"[6] بعبادة الله وحده لا شريك له[1].

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، جـ12، ص482.

(2) الفيومي، المصباح المنير، جـ1، ص19. وانظر: الرازي، مختار الصحاح، ص20.

(3) انظر: الطبري، جامع البيان، جـ18، ص364. والواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص704. وابن كثير، جـ5، ص314.

(4) الطبري، جامع البيان، جـ19، ص84.

(5) السمعاني، تفسير القرآن، ط1، جـ5، ص119. وانظر: الجلالين، تفسير الجلالين، ص655.

(6) الشوكاني، فتح القدير، جـ3، ص259.

وقال تعالى: (وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ) [البقرة: ١٦٣].

أي معبودكم الذي يستحق العبادة هو معبودٌ واحدٌ، وهو الله سبحانه الذي لا يستحق العبادة سواه.

قال الطبري في تفسير هذه الآية: "قد بينا فيما مضى معنى "الألوهية"، وأنها اعتباد الخلق. فمعنى قوله:"وإلهكم إلهٌ واحدٌ لا إلهَ إلا هو الرحمن الرحيم": والذي يستحق عَليكم أيها الناس الطاعةَ له، ويستوجب منكم العبادة، معبودٌ واحدٌ وربٌّ واحدٌ، فلا تعبدوا غيرَه، ولا تشركوا معه سواه، فإنّ من تُشركونه معه في عبادتكم إياه، هو خَلقٌ من خلق إلهكم مثلكم، وإلهكم إلهٌ واحدٌ، لا مثلَ لهُ وَلا نَظير "(2).

ويقول الله سبحانه: (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آَلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) [الأنعام: ١٩].

فالآية الكريمة تنكر على كفار قريش أنهم كانوا يعبدون معبوداتٍ عديدة، وتبين لهم أنَّ المعبود المستحق للعبادة هو معبودٌ واحدٌ لا شريك له(3).

وقال تعالى: (وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ، وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُون، وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ، ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ) النحل: ٥١-٥٤].

فقوله تعالى: (لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ) أي لا تعبدوا معبودين اثنين إنما هو معبودٌ واحد لا شريك له(4).

فتوحيد الألوهية صرف العبادات لله تعالى وحده، وعدم الإشراك فيها أحداً من خلقه، كما قال سبحانه: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف: ١١٠].

وكلمة (لا إله إلا الله) تشتمل على توحيد الألوهية، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: ٢٥].

قال الطبري في تفسير هذه الآية الكريمة: "يقول تعالى ذكره: وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم، إلا نوحي إليه: أنه لا معبود في السماوات والأرض، تصلح العبادة له سواي فاعبدون، يقول: فأخلصوا لي العبادة، وأفردوا لي الألوهية"(5).

---

(1) انظر: الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، جـ1، ص210.

(2) الطبري، جامع البيان، جـ3، ص265. وانظر: الأصفهاني، جزء ١: تفسير الراغب الأصفهاني، جـ1، ص358. والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، جـ1، ص116.

(3) انظر: الطبري، جامع البيان، جـ11، ص292.

(4) انظر: الطبري، جامع البيان، جـ17، ص220.

(5) الطبري، جامع البيان، جـ18، ص427.

وقال سبحانه: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (33) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (34) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (35) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٣-٣٦].

معنى الآية الكريمة؛ أنّ المشركين كانوا إذا قيل لهم: لا معبود بحق إلا الله، قالوا: أنترك عبادة آلهتنا لاتباع شاعر مجنون[1]، فيكذبون بوحدانية الله في ألوهيته، كما يكذبون بنبوَّة نبيّنا محمَّد صلى الله عليه وسلم.

وأما النوع الثالث من أنواع التوحيد فهو توحيد الأسماء والصفات

وقبل أن يعرفه الباحث في الاصطلاح يحسن تعريفه لغةً؛ لأنَّ المعنى الاصطلاحي ينبني عليه، فما معنى الأسماء والصفات لغة؟

الأسماء جمع اسم " والِاسْمُ: ما يعرف به ذات الشيء،... وأصله من السُّمُوِّ، وهو الذي به رفع ذكر الْمُسَمَّى فيعرف به"[2].

والصفات جمع صفة، والصفة هي الاسم الدال على بعض أحوال الذَّات؛ كالبياض والسواد والكرم، وهي الأمارة اللازمة بذات الموصوف الذي يعرف بها[3].

فتوحيد الأسماء والصفات هو:"إفراد الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى الواردة في القرآن والسنة، والإيمان بمعانيها وأحكامها"[4].

«معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات» (ص٢٩):

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] الحسنى مؤنث الأحسن[5]، وتسمية أسمائه تعالى بالحسنى؛ لأنها دالة على أحسن المعاني[6].

المطلب الثاني: العلاقة بين أنواع التوحيد الثلاثة

إن أنواع التوحيد الثلاثة مترابطة؛ يبرزها الباحث كما يلي:

أولاً: إن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، أي يوجبه ويقتضيه ويدل عليه[7]، فمن وحّد الله سبحانه في ربوبيته كما كان عليه معظم مشركي الأمم، يلزمه أن يوحِّد الله سبحانه في ألوهيته، فإن لم يفعل كان متناقضاً.

---

(1) انظر : الطبري، جامع البيان، جـ21، ص34.

(2) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص428.

(3) انظر : الجرجاني، كتاب التعريفات، ص133.والرازي، مختار الصحاح، ص340.

(4) التميمي، معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، ص29.

(5) انظر : تفسير الجلالين، ص222.

(6) انظر : البيضاوي، أنوار التنزيل، جـ3، ص43.

(7) انظر : ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ14، ص377.وابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، جـ1، ص413.وجـ3، ص368

ثانياً: توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية(1)، أي داخل فيه، مشتمل عليه؛ لأنّ من عبد الله سبحانه وحده لا شريك له، فهو مؤمن بتفرّد الله سبحانه بربوبيته؛ لذلك أفرده بالعبادة؛ لذلك لا يحتاج الإنسان للدخول في الإسلام إلَّا أن يشهد أنّه (لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّداً رسول الله)؛ لكونه عندما يشهد بوحدانية الله سبحانه في ألوهيته؛ يكون قد شهد له بالوحدانية في ربوبيته لا محالة.

ثالثاً: إذا كان توحيد الألوهية يتضمّن توحيد الربوبيّة فإنّه يتضمّن توحيد الأسماء والصفات(2)، لأنَّ توحيد الأسماء داخل في توحيد الربوبية، إذ إن توحيد الربوبية هو التوحيد العلمي الاعتقادي أو المعرفة والإثبات، والإيمان بأسماء الله وصفاته هو من هذا النوع، وأما توحيد الألوهية فهو التوحيد العملي، أو توحيد الإرادة والقصد، فهو توحيد الله بأفعالنا نحن بخلاف توحيد الربوبية فإنه توحيد الله بأفعاله(3).

المطلب الثالث: موقف المشركين، وأهل الكتاب، من الإيمان بوجود الله وربوبيته

يبرز الباحث موقف المشركين وأهل الكتاب من الإيمان بوجود الله وربوبيته من خلال ما يلي:

أولا: لقد قرر القرآن الكريم أن مشركي قريش، وغالب الأمم كانوا يقرون بوحدانية الله سبحانه في ربوبيته، فجاءت آيات عديدة تؤكد إقرار مشركي قريش بوحدانية الله سبحانه في ربوبيته.

قال تعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [لقمان: ٢٥].

وقال سبحانه: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) [الزخرف: ٩].

وقال تبارك وتعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) [الزخرف: ٨٧].

من خلال هذه الآيات يتبين أن كفار قريش كانوا يقرون بأن الله سبحانه هو الذي خلقهم وخلق السموات والأرض، ولم يكونوا يعتقدون ذلك فقط، بل كانوا يعتقدون أنه سبحانه هو المدبر لهذا الكون، المالك له المتصرف في شؤونه، الرازق المعطي لسائر النعم.

قال سبحانه: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ، اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) [العنكبوت: ٦١-٦٣].

وقال–أيضاً (قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ، قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) [المؤمنون:٨٤].

---

(1) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، جـ3، ص289.وابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، جـ1، ص29.

(2) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جـ22، ص448.

(3) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، جـ3، ص369.

وقال سبحانه: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) [يونس: ٣١].

بل كان مشركو قريش يعتقدون أن آلهتهم التي يعبدونها مع الله سبحانه مملوكة –أيضاً– لله سبحانه، لا تخرج عن قدرته وسلطانه يدل على ذلك ما ورد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–، قَالَ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «وَيْلَكُمْ، قَدْ قَدْ» فَيَقُولُونَ: إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ، يَقُولُونَ هَذَا وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ"(1).

معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لهم "ويلكم قد قد" حين يسمعهم يقولون (لبيك لا شريك لك)، كفى لَا تَزِيدُوا على هَذَا، ولكنهم كانوا يتمون تلبيتهم فيقولون (إلا شريكا هو لك)، فيشركون بالله سبحانه، بهذا الاستثناء(2).

ثانيا: تبرز آيات القرآن الكريم إيمان أهل الكتاب بربوبية الله سبحانه في آيات عديدة، كقوله سبحانه: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) [المائدة: ١٨].

جاء في تفسير الجلالين: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى) أَيْ كُلّ مِنْهُمَا (نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ) أَيْ كَأَبْنَائِهِ فِي الْقُرْب وَالْمَنْزِلَة وَهُوَ كَأَبِينَا في الرحمة والشفقة"(3).

المطلب الرابع: أسباب الإيمان بوجود الله عند أغلب الأمم

من أسباب إيمان معظم الأمم بوجود الله بما فيهم مشركو قريش وأهل الكتاب؛ أن الإيمان بوجوده –سبحانه– وأنَّه الرَّبّ، قد دل عليه الفطرة والعقل، وإليك توضيح ذلك من خلال ما يلي:

أولاً: دلالة الفطرة:

كل من لم تتغير وتفسد فطرته فإنه لا بد أن يكون مقراً بالله سبحانه وتعالى، قد أخذ الله تعالى الميثاق على الناس وهم في صلب أبيهم آدم أنه ربهم كما قال سبحانه: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) [الأعراف: ١٧٢-١٧٣].

وإن كان الإنسان قد نسي هذا الميثاق، ولكن بقي له أثر في القلب وهو الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

مما يدل على أن الإيمان بوجود الله مستقر في فطر الخلق؛ شعور الإنسان بافتقاره إلى الله عند الشدائد، ولجوئه إليه دون غيره.

(1) مسلم، صحيح مسلم، الحجّ، التَّلبية وصفتها ووقتها، 843/2،رقم: 1185.

(2)انظر: عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، 325/2.

(3)الجلالين، تفسير الجلالين، ص139.

يقول الله تعالى: (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) [يونس: 22].

ويقول سبحانه: (قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ، قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ) [الأنعام: ٦٣-٦٤].

ومن أجل هذه الفطرة التي فطر عليها الناس فإنّ وجود الله أمر ضروري لا يحتاج إلى استدلال، فهو أوضح من أن يستدل له.

قال ابن القيم: "وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ تَقِيَّ الدِّينِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ -قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ- يَقُولُ: كَيْفَ يُطْلَبُ الدَّلِيلُ عَلَى مَنْ هُوَ دَلِيلٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؟ وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَتَمَثَّلُ بِهَذَا الْبَيْتِ:

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ ... إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ

وَمَعْلُومٌ أَنَّ وُجُودَ الرَّبِّ تَعَالَى أَظْهَرُ لِلْعُقُولِ وَالْفِطَرِ مِنْ وُجُودِ النَّهَارِ، وَمَنْ لَمْ يَرَ ذَلِكَ فِي عَقْلِهِ وَفِطْرَتِهِ فَلْيَتَّهِمْهُمَا"[1].

ثانياً: دلالة العقل:

العقل أيضاً يدلّ على وجود الله[2] دلالةً ضروريةً، فإنَّ خلق المخلوقات وإبداعها دليل على وجود خالقها سبحانه.

وقد أشار الله سبحانه إلى هذا الدليل بقوله: (أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا) [مريم: ٦٧].

وقال تعالى: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ) [الطور: ٣٥-٣٦].

فهذه الآية الكريمة تقرر وجود الله بدليلٍ ضروريٍ لا يحتاج إلى نظر واستدلال، فإنَّ كلّ إنسانٍ يعلم من نفسه أنه كان عدماً ثُمَّ وُجِد، ومعلومٌ بضرورةَ العقل أنه لم يخلق نفسه؛ لأنّه كان عدماً فكيف يخلق نفسه! وقد كان عدماً قبل أن يكون موجوداً، ولا يمكن أن يكون العدم هو الذي خلقه؛ لأنّ العدم لا يمكن أن يكون خالقاً بضرورة العقل أيضاً.

فإذا انعدم هذان الاحتمالان أن يكون خلق الإنسان ذاتياً من نفسه، أو أن يكون الذي خلقه هو العدم، لم يبق سوى احتمالٌ واحدٌ وهو: أنّ له خالقاً، وهو الله سبحانه.

والدليل العقلي الضروري الآخر على وجود الله سبحانه هو دليل الإحكام والإتقان[3].

---

(1) ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، 82/1.
(2) انظر: الميداني، العقيدة الإسلامية، ص111.

(3) انظر: المرجع السابق، ص111.

وقد أشار الله إليه سبحانه في آياتٍ كثيرةٍ منها قوله تعالى: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا، وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا، وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا، وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا، وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا، وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا، وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا، لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا، وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا) [النبأ: ٦-١٦].

وقال سبحانه: (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا، أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا، وَجَعَلَ الْقَمَرَ، فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا، وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا، ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا، وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا، لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا) [نوح: ١٣-٢٠].

فإذا ما تفكر الإنسان في نفسه كيف انتقلت من العدم إلى الوجود، وكيف اشتملت على الروح والجسد الذي فيه الأعضاء المتنوعة المشتملة على الحكم والمنافع الباهرة، كما قال تعالى: (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) [الذاريات: ٢١].

ثم نظر في الآفاق وتأمل فيها كما قال سبحانه: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [فصلت: ٥٣]. فإنه سيعلم لا محالة بوجود خالقٍ لها؛ عليمٍ قديرٍ حكيمٍ.

فخلقُ الإنسان في هذا الإتقان والإحكام، وخلقُ المخلوقات حوله من أرض وبحار وأنهار وسحاب ورياح وأشجار وشمس وقمر، وغير ذلك بهذا الإتقان والإحكام المشاهد المحسوس، وكونها خُلقت من أجل العناية بالإنسان ونفعه؛ هو دليلٌ ضروريٌ آخر على وجود الله سبحانه؛ إذ إنه لا يمكن بضرورة العقل أن توجد مشتملة على هذا الإتقان والإحكام وتسخر للإنسان بدون خالقٍ قادرٍ حكيمٍ عليمٍ.

يقول سبحانه: (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ، وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ، وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ، وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ، يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ، وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ، وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ، وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ، أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ، وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) [النحل: 3–18].

وقال سبحانه: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ، وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ) [الحج: ٦٥-٦٦].

وقال تبارك وتعالى: (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ) [لقمان: ٢٠].

وقال تبارك وتعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ، وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ، وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ، لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) [الزخرف: 9-١٤].

وقال سبحانه: (اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [الجاثية: ١٢-١٣].

فهذه الأدلة العقلية على وجود الله سبحانه التي يشير إليها القرآن الكريم؛ هي أدلة معلومة بضرورة العقل والفطرة، لا تحتاج إلى نظر واستدلال، وإنّما هي كاشفةٌ عن وجه الضرورة فيها، وقد عرف ذلك الأعرابي بفطرته وضرورة عقله عندما سُئِل: " بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقَالَ: الْبَعْرَةُ تَدُلُّ عَلَى الْبَعِيرِ، وَأَثَرُ الْأَقْدَامِ يَدُلُّ عَلَى الْمَسِيرِ، فَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ وَأَرْضٌ ذَاتُ فِجَاجٍ، أَلَا تَدُلُّ عَلَى اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ"[1].

(1)السفاريني، لوامع الأنوار البهية، جـ1، ص272. وانظر: المعايطة، جهود الصحابة والتابعين في تقرير العقيدة والرد على الفرق، ص21.والقرني، المعرفة في الإسلام، مصادرها ومجالاتها، ص495.

المبحث الثاني: نواقض التوحيد عند مشركي قريش وأهل الكتاب

وإن كان مشركو قريش وأهل الكتاب يؤمنون بوجود الله سبحانه، ويعتقدون وحدانيته في ربوبيته إلَّا إنهم قد نقضوا توحيدهم وإيمانهم، حتى غدا فاسداً غير مقبول عند الله سبحانه، وإليك بيان ذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول: نواقض التوحيد عند مشركي قريش

إن إيمان مشركي قريش بوجود الله سبحانه وربوبيته لم ينفعهم ولم يكن صحيحاً؛ لأنهم قد جاءوا بما يناقضه من ذلك ما يلي:

أولاً: صرف المشركين للعبادات لغير الله سبحانه هو عدم التزامٍ منهم بلوازم توحيد الربوبية، فإنّ توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية كما سبق، وقد أخبر الله سبحانه عنهم بذلك بقوله: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) [يوسف: ١٠٦].

قد فسر الطبري هذه الآية الكريمة بقوله: " يقول تعالى ذكره: وما يُقِرُّ أكثر هؤلاء الذين وصَفَ عز وجل صفتهم بقوله: (وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ) بالله أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء (إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)، في عبادتهم الأوثان والأصنام، واتخاذهم من دونه أرباباً، وزعمهم أنَّ له ولداً، تعالى الله عما يقولون".

ثم روى نحو ما قال عن ابن عباس أنه فسر الآية بقوله: "مِنْ إيمانهم؛ إذا قيل لهم: مَن خلق السماء؟ ومَن خلق الأرض؟ ومَن خلق الجبال؟ قالوا: الله. وهم مشركون".

وعن عكرمة قال: "تسألهم مَن خلقهم؟ ومن خلق السماوات والأرض، فيقولون: الله. فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره.

وعن عامر، وعكرمة: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ)، قالا يعلمون أنه ربُّهم، وأنه خلقهم، وهم يشركون به"[(1)].

ولا يغني عنهم شيئا أنهم عبدوا الأنداد والأوثان؛ طلباً لشفاعتهم عند الله سبحانه، وقد أخبر الله عنهم بذلك في آيات عديدة، فقال سبحانه: (أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ، قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [الزمر: ٤٣-٤٤].

وقال تبارك وتعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) [يونس: ١٨].

وقال سبحانه: (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) [الأنعام: ٩٤].

ثانياً: قول مشركي قريش إن الملائكة بنات الله، وقد أخبر الله عنهم بذلك في قوله: (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ، وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ

(1)الطبري، جامع البيان، جـ16، ص286.

أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ، لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [النحل: ٥٧-٦٠]، قوله تعالى: (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ) أي ينسبون له البنات، إذ إنهم كانوا يقولون: الملائكة بنات الله، في الوقت الذي يكرهون نسبة البنات إليهم(1).

وقال سبحانه: (فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ، أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ، أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ، وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ، أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ، فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ، إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) [الصافات: 149-١٦٠].

قال الواحدي في تفسيره هذه الآيات الكريمات: "قوله تعالى: (فَاسْتَفْتِهِمْ) فسل يا محمَّد أهلَ مكَّة (أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ) وذلك أنَّهم كانوا يزعمون أنَّ الملائكة بنات الله (أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ) حاضرون خلقنا إياهم(2).

وقال السمعاني: "قَوله: (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) أَي: كَيفَ تَقولُونَ أَن الله تَعَالَى اخْتَار الْبَنَات على الْبَنِينَ، وَأَنْتُم لَا تختارون إِلَّا الْبَنِينَ. وَقَوله تَعَالَى: (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا) الْجِنَّة: هَا هُنَا هم الْمَلَائِكَة فِي قَول أَكثر الْمُفَسّرين، وَعَن بَعضهم: أَنهم الْجِنّ، وَقد كَانَ زعم بعض قُرَيْش أَن الْمَلَائِكَة بَنَات الله على مَا ذكرنَا؛ فَقَالَ أَبُو بكر الصّديق لَهُم: فَمن أمهاتهم؟ فَقَالُوا: سروات الْجِنّ؛ فَهَذَا معنى قَوْله تَعَالَى: (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا) "(3).

ثالثاً: وقد أنكر أكثر مشركي العرب البعث والحساب، وقد ذكر الله سبحانه ذلك عنهم بقوله: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [النحل: ٣٨].

وأخبر سبحانه عن رجلٍ من المشركين كيف جاء إلى النَّبيّ صلى الله عليه وسلم مستنكراً لإحياء الله سبحانه للعظام بعد أن صارت رميماً، وأوضح ما عنده من التناقض، إذ إنه يقرّ بأن الله سبحانه خلقه، ثم ينكر قدرته سبحانه على إعادته، مع أنّ القادر على الابتداء قادر على الإعادة، يقول سبحانه: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ، أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ، إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [يس: ٧٨-٨٣].

وهذا الإنكار للبعث والحساب يتناقض مع توحيد الربوبية؛ لأن توحيد الربوبية يقتضي الإيمان بأن الله سبحانه هو الخالق، فهو خالقٌ سبحانه حين بدأ الخلق، وخالقٌ حين يعيد الخلق كما بدأه.

كما قال سبحانه: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) [الأنبياء: ١٠٤].

(1)انظر: الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ومعه حاشية نهر الخير)، جـ3، ص128.

(2)الواحدي، الوجيز للواحدي، ص915.

(3)السمعاني، تفسير السمعاني، جـ4، ص418.

ويقول سبحانه: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الروم: ٢٧].

المطلب الثاني: نواقض التوحيد عند اليهود

إن إيمان اليهود بوجود الله سبحانه وربوبيته لم ينفعهم ولم يصحّ منهم؛ لأنهم جاءوا بما يناقضه مما يلي:

أولاً: جعلهم لله ولداً

فقد قالت طائفة من اليهود (عزيرٌ ابن الله)، قال تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) [التوبة: ٣٠].

قَوْله تَعَالَى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ) هَذَا فِي قوم بأعيانهم كَانُوا بِالْمَدِينَةِ أفناهم السَّيْف... وَأما الآن فَلَا يَقُول مِنْهُم أحدٌ هَذَا. وَيُقَال: إن الْقَائِلين لهَذِهِ الْمقَالة قوم من سلفهم ومتقدميهم(1).

ثانياً: عبادتهم للعجل

قد عبد اليهود العجل طاعةً للسامري؛ إذ زيّن لهم ذلك بعد أن ذهب موسى –عليه السَّلام –إلى الطور؛ لمناجاة ربه(2)، قال تعالى: (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) [البقرة: ٩٢] وقد نهاهم هارون –عليه السَّلام – عن عبادته فلم يستجيبوا له، كما ذكر الله –سبحانه وتعالى– ذلك عنهم بقوله: (وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي، قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى) [طه: ٩٠-٩١].

ثالثاً: عبادتهم للطاغوت

قال تعالى: (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) [المائدة: ٦٠]، والطاغوت هو كل شيء مادي رأس في الضلال(3) كالشيطان الذي زين لهم عبادة العجل فعبدوه(4)، والكهنة الذين أطاعوهم في معصية الله(5).

---

(1) انظر: تفسير السمعاني، ج2، ص302.

(2) انظر: الحريملي، توفيق الرحمن في دروس القرآن، ج1، ص166.

(3) انظر: الخطيب، أوضح التفاسير، جـ1، ص138.

(4) انظر: النسفي، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، جـ1، ص458.

(5) انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج2، ص134.

رابعاً: تعاملهم بالسحر

والسحر– غالباً –عبادة للشيطان، قال سبحانه: (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [البقرة: ١٠٢–١٠3].

قال ابن القيم – رحمه الله –: " وقلّما يتأتى السّحر بدون نوع عبادة للشيطان وتقرب إليه؛ إما بذبحٍ باسمه، أو بذبحٍ يقصد به هو، فيكون ذبحاً لغير الله، وبغير ذلك من أنواع الشرك والفسوق والساحر، وإن لم يسمّ هذا عبادة للشيطان فهو عبادة له، وإن سمّاه بما سمّاه به، فإن الشرك والكفر هو شرك وكفر لحقيقته ومعناه، لا لاسمه ولفظه، فمن سجد لمخلوق وقال: ليس هذا بسجود له، هذا خضوع وتقبيل الأرض بالجبهة، كما أقبّلها بالنّعم، أو هذا إكرام، لم يخرج بهذه الألفاظ عن كونه سجوداً لغير الله، فليُسمّه بما شاء.

وكذلك من ذبح للشيطان ودعاهُ، واستعاذ به، وتقرّب إليه بما يحب، فقد عَبَدَه وإن لم يسمِّ ذلك عبادة"(1)، وقال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا) [النساء: ٥١]. قَالَ عُمَر رضي الله عنه: " الجِبْتُ: السِّحْرُ، وَالطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ "(2).

خامساً: طلبهم من موسى أن يجعل لهم أصناماً يعكفون عليها

فقد قالوا لموسى –عليه السَّلام – عندما مروا على قومٍ عاكفين على أصنام لهم: (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة)، قال تبارك وتعالى: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ، إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) [الأعراف: ١٣٨–١٤٠].

سادساً: وصف اليهود ربّ العالمين سبحانه بصفات النقص

وصف اليهود رب العالمين – سبحانه– بالعديد من صفات النقص، فوصفوه بالبخل، كما ذكر الله تعالى ذلك عنهم في قوله: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) [المائدة: ٦٤].

(1) ابن القيم، بدائع الفوائد، جـ2، ص235.

(2)انظر: صحيح البخاري، جـ6، ص45.

ووصفوه بالفقر، كما ذكر الله سبحانه ذلك عنهم في قوله: (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (181) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) [آل عمران: ١٨١-١٨٢].

ووصفوه بالتّعب، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) [ق: ٣٨]، عن قتادة، في قوله: (مِنْ لُغُوبٍ) قالت اليهود: إنَّ الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، ففرغ من الخلق يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، فأكذبهم الله، وقال: (وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) (1).

وعَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: (وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) [ق: ٣٨] قَالَ: " اللَّغَبُ: النَّصَبُ، يَقُولُ الْيَهُودُ: إِنَّهُ أُعْيِيَ بَعْدَ مَا خَلَقَهُمَا عَزَّ وَجَلَّ (2)".

فوصف اليهود ربَّ العالمين بصفات النقص؛ يدل على أنهم قد نقضوا إيمانهم بالله سبحانه؛ إذ إنه لا يصح إيمانٌ بالله سبحانه، مع اعتقاد النقص فيه -سبحانه وتعالى- عمّا يقولون علواً كبيراً.

المطلب الثالث: نواقض التوحيد عند النصارى

إن إيمان النصارى بوجود الله سبحانه وربوبيته؛ لم ينفعهم ولم يكن صحيحاً؛ بسبب إتيانهم بما يناقضه، من ذلك ما يلي:

أولاً: ادعاؤهم أن عيسى-عليه السَّلام - ابن الله.

إن ادعاء النصارى أو غيرهم لله الولد دعوى بلا برهان، فإن الله سبحانه قد أقام الأدلة على بطلان هذه الدعوى أيضاً من خلال ما يلي:

1-الولد إنما يكون من جنس أبيه، والله سبحانه واحدٌ لا مثيل له، ولا شريك، ولا نظير، قال تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) [الإخلاص].

2-إنجاب الولد يحتاج إلى أن يتزوج والده بزوجة قبل ذلك، والزوجة إنما تكون من جنس زوجها، والله سبحانه لا زوجة له؛ لوحدانيته سبحانه، وعدم وجود نظير له ولا مكافئ، قال تعالى: (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الأنعام: ١٠١].

3-إنما يتخذ الإنسان الولد من أجل حاجته إليه؛ ليأنس به أو يساعده عند ضعفه وحاجته، والله سبحانه لا يحتاج إلى أحدٍ، ويحتاج إليه كلّ أحد، قال تعالى: (قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [يونس: ٦٨].

---

(1)انظر: الطبري، تفسير الطبري، ج22، ص376.

(2)انظر: مجاهد، تفسير مجاهد، ص615.

4-لو كان له ولد سيكون خارجاً عن عبوديته لله سبحانه، وهذا لا يمكن؛ لأنّ كل ما سوى الله سبحانه فإنه عبد له مربوب له، قال تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا، تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا، أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا، وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا، إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا، لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا، وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) [مريم: ٨٨-٩٥].

5- إن عيسى – عليه السلام – كان يأكل الطعام، وهذا يدل على أمرين: أحدهما حاجته للطعام، والإله لا يحتاج إلى شيء، والثاني: أنّه كان يتغوّط ويبول، وهذا نقص يستحيل في حق الإله، وقد أشار الله سبحانه إلى هذا المعنى بقوله: (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) [المائدة: ٧٥](1).

ثانياً: تأليههم لروح القدس أو لمريم عليها السلام

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أنّ النصارى اعتقدوا في الله أنه ثالث ثلاثة، فقال سبحانه: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) [النساء: ١٧١].

قولهم -تعالى الله عما يقولون – إن الله ثالث ثلاثة: "يعنون الأب، والابن، وروح القدس، وبعضهم يقول: الأب، والابن، والأم، والثلاثة إله واحد"(2).

ومما يدل من القرآن الكريم أن النصارى اتخذوا مريم – عليها السلام – إلهاً من دون الله سبحانه قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [المائدة: ١١٦-١١٧].

وهذا الخطاب الإلهي مع عيسى – عليه السلام – يكون يوم القيامة، وفيه يتبرأ عيسى – عليه السلام – من اتخاذ النصارى له ولأمه إلهين من دون الله(3)،ويوضح أنه لم يأمرهم بذلك وإنما أمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له.

ثالثا: اتخاذهم الأحبار والرهبان أرباباً

أخبر الله سبحانه عن النصارى أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم في قوله: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [التوبة: ٣٠-٣١]، ومن اتخذ رباً مع الله سبحانه يكون إيمانه به منقوضاً بذلك.

(1) انظر في أدلة بطلان بنوة المسيح: تفسير ابن جزي، ج2، ص524.

(2) الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، ص659.

(3) راجع: تفسير ابن كثير، ج3، ص232.

المبحث الثالث: سبل دعوة المشركين وأهل الكتاب إلى التوحيد

لقد سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم سبلاً عديدة لدعوة المشركين وأهل الكتاب إلى التوحيد، كالدعوة إلى كلمة التوحيد، والحوار، والرد على الأسئلة، والجهاد في سبيل الله، والترغيب والترهيب، وذكر الأمثال والقصص، ولا يتّسع المقام للتفصيل في هذه الأساليب كلّها، لذلك أقتصر على توضيح أبرزها في المطالب التالية:

المطلب الأول: دعوة النبي صلى الله عليه وسلم المشركين إلى كلمة التوحيد

كان النَّبيّ صلى الله عليه وسلم يدعو المشركين أفراداً وجماعاتٍ في المرحلة السرية والجهرية، أول ما يدعوهم إلى الشهادتين: (شهادة أن لا إله إلا الله) التي هي إقرار بتوحيد الله سبحانه في ألوهيته؛ إذ إن معناها لا معبود بحقٍ إلَّا الله[(1)]، وشهادة (أن محمّداً رسول الله)، التي تفيد أن عبادة الله لا تكون إلَّا عن طريق محمّد صلى الله عليه وسلم، فلا تُقبل عبادة الله إلَّا بحسب ما جاء به محمّد خاتم المرسلين.

من الأدلة الدالة على ذلك ما يلي:

أولا: عن أبي جَمْرَةَ، قَالَ: قَالَ لَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِإِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ؟ قَالَ: قُلْنَا بَلَى، قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ: كُنْتُ رَجُلًا مِنْ غِفَارٍ، فَبَلَغَنَا أَنَّ رَجُلًا قَدْ خَرَجَ بِمَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَقُلْتُ لِأَخِي: انْطَلِقْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ كَلِّمْهُ وَأْتِنِي بِخَبَرِهِ، فَانْطَلَقَ فَلَقِيَهُ، ثُمَّ رَجَعَ، فَقُلْتُ مَا عِنْدَكَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَأْمُرُ بِالخَيْرِ وَيَنْهَى عَنِ الشَّرِّ، فَقُلْتُ لَهُ: لَمْ تَشْفِنِي مِنَ الخَبَرِ.

فَأَخَذْتُ جِرَاباً وَعَصاً، ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى مَكَّةَ، فَجَعَلْتُ لَا أَعْرِفُهُ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُ، وَأَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ وَأَكُونُ فِي المَسْجِدِ، قَالَ: فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ فَقَالَ: كَأَنَّ الرَّجُلَ غَرِيبٌ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَانْطَلِقْ إِلَى المَنْزِلِ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ وَلَا أُخْبِرُهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَى المَسْجِدِ لِأَسْأَلَ عَنْهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُخْبِرُنِي عَنْهُ بِشَيْءٍ.

قَالَ: فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ، فَقَالَ: أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ يَعْرِفُ مَنْزِلَهُ بَعْدُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: انْطَلِقْ مَعِي، قَالَ: فَقَالَ مَا أَمْرُكَ، وَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ البَلْدَةَ؟ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنْ كَتَمْتَ عَلَيَّ أَخْبَرْتُكَ، قَالَ: فَإِنِّي أَفْعَلُ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: بَلَغَنَا أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ هَا هُنَا رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَرْسَلْتُ أَخِي لِيُكَلِّمَهُ، فَرَجَعَ وَلَمْ يَشْفِنِي مِنَ الخَبَرِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَلْقَاهُ.

فَقَالَ لَهُ: أَمَا إِنَّكَ قَدْ رَشَدْتَ، هَذَا وَجْهِي إِلَيْهِ فَاتَّبِعْنِي، ادْخُلْ حَيْثُ أَدْخُلُ، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ أَحَدًا أَخَافُهُ عَلَيْكَ، قُمْتُ إِلَى الحَائِطِ كَأَنِّي أُصْلِحُ نَعْلِي وَامْضِ أَنْتَ، فَمَضَى وَمَضَيْتُ مَعَهُ، حَتَّى دَخَلَ وَدَخَلْتُ مَعَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْرِضْ عَلَيَّ الإِسْلَامَ، فَعَرَضَهُ فَأَسْلَمْتُ مَكَانِي.

فَقَالَ لِي: «يَا أَبَا ذَرٍّ، اكْتُمْ هَذَا الأَمْرَ، وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ» فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَجَاءَ إِلَى المَسْجِدِ وَقُرَيْشٌ فِيهِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ، فَقَامُوا فَضُرِبْتُ لِأَمُوتَ، فَأَدْرَكَنِي العَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: وَيْلَكُمْ، تَقْتُلُونَ رَجُلًا مِنْ غِفَارَ،

(1) انظر: الطبري، تفسير الطبري، جـ21، ص410، ومكي، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، جـ11، ص7409. والجلالين، تفسير الجلالين، ص56.

وَمَتْجَرُكُمْ وَمَمَرُّكُمْ عَلَى غِفَارَ، فَأَقْلَعُوا عَنِّي، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ الغَدَ رَجَعْتُ، فَقُلْتُ مِثْلَ مَا قُلْتُ بِالأَمْسِ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ فَصُنِعَ بِي مِثْلَ مَا صُنِعَ بِالأَمْسِ، وَأَدْرَكَنِي العَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ، وَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ بِالأَمْسِ، قَالَ: فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ إِسْلاَمِ أَبِي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ "[1].

فهذا أبو ذرٍّ يُسْلِم على يد النبي صلى الله عليه وسلم بنطقه بالشهادتين، ويأبى إلَّا أن يصرخ بها أمام المشركين، حتى ولو ناله من الضرر والأذى ما ناله، فدل ذلك على أنّ النَّبيّ صلى الله عليه وسلم إنّما كان يدعو من يريد الدخول بالإسلام أن ينطق بالشهادتين، حتى في بداية بعثته في المرحلة المكية السرية.

ثانيا: عَنْ أَشْعَثَ قَالَ: حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَتَخَلَّلُهَا يَقُولُ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا "، قَالَ: وَأَبُو جَهْلٍ يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ وَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَغُرَّنَّكُمْ هَذَا عَنْ دِينِكُمْ، فَإِنَّمَا يُرِيدُ لِتَتْرُكُوا آلِهَتَكُمْ، وَتَتْرُكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى، قَالَ: وَمَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[2].

فالنبي صلى الله عليه وسلم في المرحلة المكية الجهرية كان يدعو إلى كلمة توحيد الألوهية دعوة جهرية جماعية، حتى تصل إلى كل أحدٍ، ولا يمتنع عن ذلك بسبب الأذى الذي كان يقع عليه من المشركين.

وقول أبي جهل: (إنما يريد لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللات والعزى)، يفيد أن المشركين كانوا يفهمون مقصود النبي صلى الله عليه وسلم من الدعوة إلى توحيد الألوهية، وهو إفراد الله سبحانه بالعبادة وترك عبادة الأوثان والأنداد.

ثالثا: عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي طَالِبٍ: " يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ " فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟

فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ المَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ) [التوبة: ١١٣] الآيَةَ"[3].

ففي هذا الحديث بيان لمنهج النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة المشرك إلى توحيد الألوهية، حتى ولو كان عند حضوره الموت، وأنه لا نجاة لأحدٍ مهما كان عنده من عملٍ صالحٍ يوم القيامة بدون النطق بهذا التوحيد والعمل به[1].

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، المناقب، قصة زمزم، ج4، ص184.ومسلم، صحيح مسلم، الفضائل، من فضائل أبي ذر، 1923/4: رقم2474.

(2) مسند أحمد، 148/27: رقم 16603. وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(3) البخاري، صحيح البخاري، الجنائز، إذا قال المُشركُ عند الموت: لا إله إلَّا الله، 95/2: رقم 1360.ومسلم، صحيح مسلم، الإيمان، أول الإيمان قول لا إله إلا الله، 54/1: رقم 24.

المطلب الثاني: دعوة النبي صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب إلى كلمة التوحيد

لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدعو المشركين فقط للنطق بكلمة التوحيد، بل كان أيضاً يدعو إلى ذلك أهل الكتاب، فقد جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرِضَ فَعَادَهُ، وَقَالَ: «قُلْ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ»، فَنَظَرَ الْغُلَامُ إِلَى أَبِيهِ فَقَالَ: قُلْ: مَا يَقُولُ لَكَ مُحَمَّدٌ قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ»(2).

فقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم هذا الغلام اليهودي إلى الشهادتين في مرض موته، وصلى عليه وعده مسلماً بعد أن نطق بهما.

المطلب الثالث: حوار أهل الكتاب بالتي هي أحسن

قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاور أهل الكتاب في دعوتهم إلى الإسلام، دين التوحيد، من ذلك ما يلي:

أولاً: محاورته لحبر من أحبار اليهود كما جاء في هذه القصة:

عن ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ حِبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا فَقَالَ: لِمَ تَدْفَعُنِي؟ فَقُلْتُ: أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي»، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟» قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ. فَنَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعُودٍ مَعَهُ، فَقَالَ: «سَلْ».

فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ».

قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً؟ قَالَ: «فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ» قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ»، قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ: «يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا» قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا» قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: وَجِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ. قَالَ: «يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟» قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ. قَالَ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنِ الْوَلَدِ؟ قَالَ: «مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا، فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ، أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللهِ، وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ، آنَثَا بِإِذْنِ اللهِ». قَالَ الْيَهُودِيُّ: لَقَدْ صَدَقْتَ، وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَذَهَبَ.

(1) راجع: المعايطة، جهود الصحابة والتابعين، ص63.

(2) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، الجنائز، 516/1: رقم 1342 .وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنِ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ، وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى أَتَانِيَ اللهُ بِهِ»(1).

فقد حاور النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحبر من أحبار اليهود، وأجابه على جميع أسئلته حتى شهد لنبينا صلى الله عليه وسلم بالنبوة دون أن يدخل في الإسلام.

ثانيا: محاورته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن سلام التي كانت سببا لدخوله في دين التوحيد فقد جاء عن أنس رضي الله عنه أنه قال: "بَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلاَمٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَدِينَةَ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاَثٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ» قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلاَئِكَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الوَلَدِ: فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ المَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا " قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ.

ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ، إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلاَمِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِي عِنْدَكَ، فَجَاءَتِ اليَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ البَيْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ» قَالُوا أَعْلَمُنَا، وَابْنُ أَعْلَمِنَا، وَأَخْيَرُنَا، وَابْنُ أَخْيَرِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ» قَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالُوا: شَرُّنَا، وَابْنُ شَرِّنَا، وَوَقَعُوا فِيهِ(2).

هذا حبر آخر من أحبار اليهود وهو عبد الله بن سلام حاوره النبي صلى الله عليه وسلم، وأجاب على جميع أسئلته حتى علم نبوته ودخل في الإسلام؛ لأنه كان قاصداً لمعرفة الحق واتباعه بخلاف الحبر المذكور في القصة التي قبل هذه القصة، فإنه لم يكن قاصداً لاتباع الحق بعد معرفته فلم يدخل في الإسلام.

ثالثاً: محاورته لوفد نجران.

قد حاور النبي صلى الله عليه وسلم وفد نجران من النَّصارى، فقد جاء عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: جَاءَ العَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، صَاحِبَا نَجْرَانَ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدَانِ أَنْ يُلاَعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لاَ تَفْعَلْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلاَعَنَّا لاَ نُفْلِحُ نَحْنُ، وَلاَ عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالاَ: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا، وَلاَ تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا. فَقَالَ «لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ»، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ» فَلَمَّا قَامَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ»(3)

---

(1) مسلم، صحيح مسلم، الحيض، بَيان صفة منيّ الرَّجل، والمرأة وأنَّ الولدَ مخلوقٌ مِن مائهما، 252/1: رقم315.

(2) البخاري، صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، خلق آدم، 132/4: رقم 3329.

(3) البخاري، صحيح البخاري، المغازي، قصَّةِ أهل نَجرانَ، 171/5: رقم4380.

وعَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ جَابِرٍ أَنَّ وَفْدَ نَجْرَانَ أَتَوُا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا: مَا تَقُولُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ: «هُوَ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ وَعَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» قَالُوا لَهُ: هَلْ لَكَ أَنْ نُلَاعِنَكَ أَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ؟ قَالَ: «وَذَاكَ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ؟» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «فَإِذَا شِئْتُمْ» فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَمَعَ وَلَدَهُ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَالَ رَئِيسُهُمْ: لَا تُلَاعِنُوا هَذَا الرَّجُلَ فَوَاللَّهِ لَئِنْ لَاعَنْتُمُوهُ لَيُخْسَفَنَّ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ.

فَجَاءُوا فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُلَاعِنَكَ سُفَهَاؤُنَا وَإِنَّا نُحِبُّ أَنْ تُعْفِيَنَا قَالَ: «قَدْ أَعْفَيْتُكُمْ» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَذَابَ قَدْ أَظَلَّ نَجْرَانَ» "(1).

فقد أجاب النبي صلى الله عليه وسلم وفد نجران عن سؤالهم في حق عيسى عليه السلام، وعندما أرادوا ملاعنته وافق على ملاعنتهم، إلَّا إنهم غيّروا رأيهم حين خافوا من عاقبة هذه الملاعنة، مما يدل على ما عندهم من الشك في عقيدتهم، وعدم يقينهم بها.

رابعاً: محاورته لعدي بن حاتم إذ كان على النصرانية.

عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ حُذَيْفَةَ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُ عَنْ حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي لَا آتِيهِ فَأَسْأَلَهُ، فَأَتَيْتُهُ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ بُعِثَ فَكَرِهْتُهُ أَشَدَّ مَا كَرِهْتُ شَيْئًا قَطُّ، فَانْطَلَقْتُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَقْصَى الْأَرْضِ مِمَّا يَلِيَ الرُّومَ، فَقُلْتُ: لَوْ أَتَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ، فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا اتَّبَعْتُهُ، فَأَقْبَلْتُ، فَلَمَّا قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ اسْتَشْرَفَ لِي النَّاسُ، وَقَالُوا: جَاءَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ، جَاءَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِي: "يَا عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ أَسْلِمْ تَسْلَمْ" قَالَ قُلْتُ: إِنَّ لِي دِينًا، قَالَ: "أَنَا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ –مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا– أَلَسْتَ تَرْأَسُ قَوْمَكَ؟ " قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: " أَلَسْتَ تَأْكُلُ الْمِرْبَاعَ(2)"؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى.

قَالَ:" فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ" قَالَ: فَتَضَعْضَعْتُ لِذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: "يَا عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، فَإِنِّي قَدْ أَظُنُّ– أَوْ قَدْ أَرَى، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أنه ما يمعنك أن تسلم خصاصة(3) تراها من حولي، وَتُوشِكُ الظَّعِينَةُ أَنْ تَرْحَلَ مِنَ الْحِيرَةِ بِغَيْرِ جِوَارٍ حَتَّى تَطُوفَ بِالْبَيْتِ، وَلَتُفْتَحَنَّ عَلَيْنَا كُنُوزُ كسرى بن هرمز، وَلَيَفِيضَنَّ الْمَالُ –أَوْ لَيَفِيضُ– حَتَّى يُهِمَّ الرَّجُلَ مَنْ يَقْبَلُ مِنْهُ مَالَهُ صَدَقَةً".

---

(1) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، تواريخِ المُتقدِّمينَ من الأَنبياء والمرسلينَ، ذِكْرُ نَبيِّ اللهِ ورُوحهِ عيسَى ابْنِ مريمَ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهما، 649/2: رقم 4157.وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. ولكن تعقبهما ابن كثير بقوله: هَكَذَا قَالَ: وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنِ الْمُغِيرَةِ عَنِ الشَّعْبِيِّ مُرْسَلًا وَهَذَا أَصَحُّ وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْبَرَاءِ نَحْوُ ذَلِكَ. انظر: تفسير ابن كثير، ج2، ص55.

(2) المرباع: ربع الغنيمة يأخذه الرئيس دون غيره. انظر: أبو عبيد، غريب الحديث، ج3، ص87.

(3) خصاصة: حاجة وفقر. كذا في: أبو حيان، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، ص114.

قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ: فَقَدْ رَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْحَلُ مِنَ الحيرة بغير جِوَارٍ حَتَّى تَطُوفَ بِالْبَيْتِ، وَكُنْتُ فِي أَوَّلِ خَيْلٍ أَغَارَتْ عَلَى الْمَدَائِنِ عَلَى كُنُوزِ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَأَحْلِفُ بِاللَّهِ لَتَجِيئَنَّ الثَّالِثَةُ، إِنَّهُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لي"(1).

فقد حاور النبي صلى الله عليه وسلم عدي بن حاتم مع كونه عالماً من علماء النصارى في ذلك الحين، ودعاه للإسلام وأبرز له مخالفته لدينه، وذكر له أموراً من الغيب أنها ستكون؛ لتكون من آيات نبوته وقد وقعت كما أخبر عليه الصلاة والسلام.

المطلب الرابع: محاورة النبي صلى الله عليه وسلم للمشركين

لم يقتصر النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته إلى الإسلام دين التوحيد على محاورة أهل الكتاب بل كان يحاور المشركين – أيضاً– من ذلك ما يلي:

أولا: محاورته صلى الله عليه وسلم لعتبة بن ربيعة، وقصة حواره معه قصة غزيرة الفوائد.

قال ابن إسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ القُرظِي، قَالَ: حُدثتُ أَنَّ عُتبة بْنَ رَبِيعَةَ، وَكَانَ سَيِّدًا، قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحْدَهُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَلَا أَقُومُ إلَى مُحَمَّدٍ فَأُكَلِّمَهُ وَأَعْرِضَ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلَّهُ يقبلُ بعضَها فَنُعْطِيهِ أَيَّهَا شَاءَ، وَيَكُفُّ عَنَّا؟ وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ حمزةُ، ورأوْا أصحابَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَزِيدُونَ ويكثُرون؛ فَقَالُوا: بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ، قُمْ إلَيْهِ فكلمْه؛ فَقَامَ إلَيْهِ عُتبة حَتَّى جَلَسَ إلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فقال:

يا ابن أَخِي، إنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ علمتَ مِنْ السِّطَةِ(2) فِي الْعَشِيرَةِ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ، وَإِنَّكَ أَتَيْتَ قومَك بِأَمْرٍ عَظِيمٍ فرَّقت بِهِ جَمَاعَتَهُمْ وسفهتَ بِهِ أحلامَهم وعبتَ بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ وكفَّرت بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ، فَاسْمَعْ مِنِّي أعرضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قُلْ يَا أبا الوليد، أسمع".

قال: يا ابنَ أَخِي، إنْ كنتَ إنَّمَا تُرِيدُ بِمَا جئتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا، حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونكَ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا: وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رَئِيًّا تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَنْ نفسِك، طَلَبْنَا لَكَ الطبَّ، وَبَذَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّى نبرئَك مِنْهُ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَ التابعُ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُدَاوَى مِنْهُ أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ، حَتَّى إذَا فَرَغَ عُتْبَةُ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَسْتَمِعُ مِنْهُ، قَالَ: "أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ " قَالَ: نَعَمْ قَالَ: "فَاسْمَعْ مِنِّي"؛ قَالَ: أَفْعَلُ.

فَقَالَ: "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" (حم، تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا)، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ فَلَمَّا سَمِعَهَا مِنْهُ عُتْبَةُ أَنْصَتَ لَهَا، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خلفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ؛ ثم انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا، فَسَجَدَ ثُمَّ قَالَ: قَدْ سَمِعْتَ يَا أبا الوليد ما سمعتَ، فأنت وذاك.

(1) ابن حبان، صحيح ابن حبان، إخبارِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم عَمَّا يكون في أمته من الفتن والحوادث، ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَنْ فَتْحِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ كَثْرَةَ الْأَمْوَالِ، 71/15:رقم6679. وقال الأرنؤوط: إسناده قوي.

(2) السطة: مصدر من وسط القوم. كذا في الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ج11، ص7157.

رأي عتبة: فَقَامَ عُتْبَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَحْلِفُ بِاَللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بغيرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ. فَلَمَّا جَلَسَ إلَيْهِمْ قَالُوا: مَا وراءَك يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: وَرَائِي أَنِّي قَدْ سمعتُ قَوْلًا وَاَللَّهِ مَا سَمِعْتُ مثلَه قطُّ، وَاَللَّهِ مَا هُوَ بِالشِّعْرِ، وَلَا بِالسِّحْرِ، وَلَا بِالْكِهَانَةِ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَطِيعُونِي وَاجْعَلُوهَا بِي، وخلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ فاعتزِلوه، فَوَاَللَّهِ لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سمعتُ مِنْهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ، فَإِنْ تصبْه الْعَرَبُ فَقَدْ كُفيتموه بغيرِكم، وَإِنْ يَظْهَرْ عَلَى الْعَرَبِ فملُكه ملكُكم، وعزُّه عِزُّكُمْ، وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ؛ قَالُوا: سَحَرَكَ وَاَللَّهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ؛ قَالَ: هَذَا رَأْيِي فِيهِ، فاصنعوا ما بدا لكم(1).

ففي هذه القصة الطويلة من السيرة النبوية العطرة، يضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أروع مثال في أرقى أسلوب من أساليب الحوار، يسمع كل ما قاله عتبه مع ما فيه من الباطل والكذب، ولا يقاطعه حتى يفرغ تماماً من قوله، ثم يكون جوابه قراءة آيات من القرآن الكريم تقرع آذان هذا العربي، الذي يعرف قدر البلاغة وعمق المعاني فيه، مما يستدعي منه اتباع الحق إن كان يقصد اتباعه، وإلا فتقوم عليه الحجة، بل قد يقيم هذا الكافر الحجة على غيره أيضاً بأن هذا القرآن الكريم ليس ككلام البشر.

ثانيا: جوابه صلى الله عليه وسلم للمشركين عندما سألوه عن نسب الله بآيات أنزلت عليه من عند الله سبحانه، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ) (الإخلاص: ١–2](2).

فقد سأل المشركون عن نسب الله سبحانه، فأجاب الله سبحانه المشركين عن سؤالهم، وقال لنبيه: قل لهؤلاء الذين سألوك عن نسب الله: أن الله سبحانه واحدٌ لا شريك له، فليس له زوجة، ولا شريك، ولا ولد، ولا والد، ولا نظير، ولا ند له – سبحانه –، وهو الصمد الذي لا جوف له، ويقصده الخلائق بحوائجهم، والسيد الذي له السيادة الكاملة، الذي ليس فوقها سيادة(3).

كل هذه الحوارات النبوية مع مختلف أتباع الأديان الباطلة المختلفة؛ تؤكد مدى أهمية الحوار في الدعوة إلى الإسلام دين التوحيد.

المطلب الخامس: الجهاد في سبيل الله

لقد غزى النبي صلى الله عليه وسلم غزوات عديدة؛ دفاعاً عن التوحيد وانتصاراً له، وكان يأمر جيوشه أن يدعو الكفار إلى أحد ثلاث خصال، وهي:

1- الإسلام، دين التوحيد.
2- التحول من دارهم إلى دار المهاجرين.
3- أن يكونوا كأعراب المسلمين.

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْراً، ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ – أَوْ خِلَالٍ – فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ،

(1) ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، 261/1.
(2) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الإخلاص، 451/5: رقم 3364.وحسنه الألباني. والحاكم، المستدرك على الصحيحين، التفسير، تفسير سورة الإخلاص، 589/2: رقم 3987.وصححه الحاكم والذهبي.
(3) انظر: الواحدي، "الوجيز"، ص1241.

وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ"(1).

وبين رسول الله الهدف من الجهاد في سبيل الله وهو إقرار الناس بتوحيد الألوهية(2).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»(3).

ومما يدل على أن هدف النبي صلى الله عليه وسلم من الجهاد في سبيل الله نشر توحيد الألوهية في الناس ما جاء عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَاتَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَارِبَ بْنَ خَصَفَةَ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّى قَامَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: " اللهُ " فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: " مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ " قَالَ: كُنْ كَخَيْرِ آخِذٍ قَالَ: " وأَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ " قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أُعَاهِدُكَ عَلَى أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ "(4).

وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ – وَهَذَا حَدِيثُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ – قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنَا الحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَقَتَلْتَهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ، قَالَ: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟» فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ"(5).

فالنصوص السابقة دالة على أن الجهاد في سبيل الله هو أسلوب نبوي لنشر التوحيد، وأن الغاية النبوية منه أن يوحد الناس رب العالمين بالعبادة ويجتنبوا الشرك به.

---

(1) مسلم، صحيح مسلم، الجهاد والسير، تأميرِ الإمامِ الأمراءَ على البُعوثِ، ووصيَّتِهِ إيَّاهم بآدابِ الغزوِ وغيرها، 1375/3: رقم1731.

(2) انظر: المعايطة، جهود الصحابة والتابعين، ص78.

(3) البخاري، صحيح البخاري، الصلاة، فضل استقبال القبلة، 87/1: رقم 392.

(4) الإمام أحمد، مسند أحمد، 370/23: رقم ١٥١٩٠.وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

(5) مسلم، صحيح مسلم، الإيمان، تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، 96/1: رقم96.

الخاتمة: تشتمل على أهم النتائج والتوصيات

أولا: أهم النتائج:

أهم نتائج بحثي هذا أضعها في النقاط التالية:

1. التوحيد هو: إفراد الله سبحانه بالربوبية والألوهية وكمال الصفات.
2. إن مشركي قريش، وغالب الأمم كانوا يقرون بوحدانية الله سبحانه في ربوبيته؛ لأنه أمر قد فطر الله سبحانه عليه الناس ودلت عليه ضرورة العقل.
3. مع إيمان مشركي قريش بوجود الله سبحانه ووحدانيته في ربوبيته؛ نقضوا هذا الإيمان بصرفهم العبادات لغير الله سبحانه، وقولهم إن الملائكة بنات الله، وإنكارهم لقدرة الله على البعث.
4. مع إيمان اليهود بوجود الله سبحانه ووحدانيته فإنهم قد نقضوا هذا الإيمان بنواقض عديدة منها ما يرجع إلى عبادتهم مع الله إلهاً آخر، كعبادتهم للعجل، والطاغوت، والشيطان، ومنها ما يرجع إلى وصف الله سبحانه بالنقص، كوصفهم له سبحانه بالبخل والفقر والتعب.
5. مع إيمان النصارى بوجود الله وربوبيته إلا إنهم قد نقضوا هذا التوحيد بادعائهم أن لله ولداً، وباتخاذهم الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله سبحانه.
6. لقد تعددت الأساليب النبوية في دعوة المشركين وأهل الكتاب إلى التوحيد، وأبرز هذه الأساليب؛ أنه صلى الله عليه وسلم كان يدعو إلى كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله)، ويحاور الكافرين، ويجيب على أسئلتهم، وقد سلك سبيل الجهاد لنشر التوحيد.
7. ما ورد في هذا البحث من إيضاح لنواقض التوحيد عند اليهود والنصارى من خلال القرآن الكريم، والسيرة النبوية المطهرة، يبطل ما يحاول بعض العصرانيين بثه في المسلمين، من أن اليهود والنصارى على دين صحيح، وأنهم مؤمنون بالله سبحانه إيماناً مقبولاً.

ثانيا: أهم التوصيات:

لكون هذه البحث كان محدداً بنواقض التوحيد عند مشركي قريش وأهل الكتاب، من خلال القرآن الكريم وصحيح السيرة النبوية؛ يوصي الباحث:

بعمل دراسة تبرز هذه النواقض من خلال المصادر الأصلية لليهود والنَّصارى، ويتم الحكم عليها من خلال القرآن والسنة النبوية.

سائلاً الله تعالى أن يتقبَّل مني هذا البحث، وأن يدخر لي ثوابه إلى يوم لقياه إنّه سميعٌ مجيبٌ.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. الأزهري، محمد بن أحمد أبو منصور.(٢٠٠١م).*تهذيب اللغة*. تحقيق: محمد عوض مرعب.ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
3. الإتيوبي، محمد بن علي بن آدم. (١٤٢٦ – ١٤٣٦هـ). *البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج*. ط1، (د. م): دار ابن الجوزي.
4. الإسكافي، محمد بن عبد الله.(١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م). *درة التنزيل وغرة التأويل*، ط1، دراسة وتحقيق وتعليق: د. محمد مصطفى آيدين.(د. م): جامعة أم القرى.
5. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله.(١٤٢٢هـ).*صحيح البخاري*. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط1.(د. م): دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).
6. البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمَّد.(١٤١٨هـ).*أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط1.بيروت:دار إحياء التراث العربي.
7. الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى. (١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م)، *سنن الترمذي*. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥).ط2. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
8. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم.(١٤١٦هـ – ١٩٩٥م). مجموع *الفتاوى*، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية.
9. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م).*منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية*، تحقيق: محمد رشاد سالم. ط1.(د. م): جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
10. التميمي، محمد بن خليفة بن علي التميمي.(١٤١٩هـ – ١٩٩٩م). ***معتقد** أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات*. ط1. الرياض: أضواء السلف.
11. الجرجاني، علي بن محمَّد. (١٤٠٣هـ –١٩٨٣م).*كتاب التعريفات*. تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر.ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
12. الجزائري، جابر بن موسى أبو بكر.(١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م). *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ومعه حاشية نهر الخير)*.ط5. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.
13. ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الكلبي الغرناطي، (1416هـ). التسهيل لعلوم التنزيل. تحقيق: الدكتور عبدالله الخالدي. ط1. بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.
14. الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (د. ت). *تفسير الجلالين*. ط1.القاهرة: دار الحديث.
15. الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله. (١٤١١هـ – ١٩٩٠م).*المستدرك على الصحيحين*. تحقيق: مصطفى عبد

القادر عطا.ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

16. الحميري، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني. (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م).*شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*. تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، وآخرون.ط1. بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر.

17. الحريملي، فيصل بن عبد العزيز. (١٤١٦هـ – ١٩٩٦م).*توفيق الرحمن في دروس القرآن*. حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز آل محمَّد.ط1. الرياض:دار العاصمة، القصيم: دار العليان للنشر والتوزيع.

18. الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف، (١٣٨٣هـ – ١٩٦٤م).*أوضح التفاسير*.ط6. (د. م): المطبعة المصرية ومكتبتها.

19. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي. (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م).*تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب*، تحقيق: سمير المجذوب. ط1.(د. م): المكتب الإسلامي.

20. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي. (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م).*مختار الصحاح*. تحقيق: يوسف الشيخ محمَّد.ط5. بيروت – صيدا: المكتبة العصرية – الدار النموذجية.

21. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمَّد. (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م).*تفسير الراغب الأصفهاني*، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني. ط1.(د. م): كلية الآداب – جامعة طنطا.

22. الراغب، الحسين بن محمد (١٤١٢هـ).*المفردات في غريب القرآن*. (تحقيق: صفوان عدنان الداودي).ط1. دمشق بيروت: دار القلم، الدار الشامية.

23. الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق. (د. ت).*تاج العروس من جواهر القاموس*. تحقيق: مجموعة من المحققين. (د. ط). (د. م): دار الهداية.

24. الزحيلي، وهبة بن مصطفى الزحيلي.(١٤١٨هـ). *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، ط2. دمشق:دار الفكر المعاصر.

25. السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم. (١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م).*لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية*. ط2.دمشق: مؤسسة الخافقين ومكتبتها.

26. السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد الحنفي ثم الشافعي (١٤١٨هـ– ١٩٩٧م).*تفسير القرآن*. تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. ط1.الرياض:دار الوطن.

27. الشوكاني، محمد بن علي (١٤١٤هـ).*فتح القدير*. ط1.دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.

28. الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (د. ت): *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، (د. ط).مكة المكرمة: دار التربية والتراث.

29. أبو عبيد، القاسم بن سلاّم. (١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م).*غريب الحديث*. تحقيق: محمد عبد المعيد خان.ط1.حيدر آباد: مطبعة دائرة المعارف العثمانية.

30. ابن أبي العز، محمد بن علاء الدين عليّ بن محمَّد. (١٤١٧هـ – ١٩٩٧م).*شرح العقيدة الطحاوية*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد الله بن المحسن التركي. ط10.بيروت:مؤسسة الرسالة.

31. عفيفي، عبد الرزاق عفيفي (د. ت).*مذكرة التوحيد*، ط1.المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

32. الفيومي، أحمد بن محمد (د. ت).*المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*.(د. ط). بيروت: المكتبة العلمية.

33. القرني، عبد الله بن محمَّد.(1436هـ). *المعرفة في الإسلام، مصادرها ومجالاتها*. ط4.(د. م): مركز التأصيل للدراسات والبحوث.

34. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، (د. ت).*بدائع الفوائد*. (د. ط).بيروت: دار الكتاب العربي.

35. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب.(١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).*مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*. تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي.ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.

36. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).*تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط2، (د. م): دار طيبة للنشر والتوزيع.

37. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط، دار الدعوة.

38. مكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب الأندلسي القرطبي المالكي. (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).*الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه*. تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي ومجموعة بحوث الكتاب والسُّنَّة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة. ط1.(د. م). (د. ن).

39. مجاهد، مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي. (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م).*تفسير مجاهد*. تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل. ط1.مصر:دار الفكر الإسلامي الحديثة.

40. مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (د. ت).*صحيح مسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

41. المعايطة، عطا الله بخيت حماد.(1437هـ، 2016م).*جهود الصحابة والتابعين في تقرير العقيدة والرد على الفرق*. رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى. ط1.عمان:الأثرية للطباعة والنشر والتوزيع.

42. الميداني، عبد الرحمن حبنكة. (1438هـ، 2016م). *العقيدة الإسلامية*. ط17.دمشق:دار القلم.

43. ابن المنذر، محمد بن إبراهيم. (١٤٠٨هـ).*الإقناع لابن المنذر*. تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الجبرين.ط1. (د. م).(د. ن).

44. النسفي، عبد الله بن أحمد. (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).*تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)*. حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي. ط1. بيروت: دار الكلم الطيب.

45. ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب.(د. ت).*السيرة النبوية لابن هشام*. تحقيق: طه عبد الرءوف سعد. (د. ط).(د. م): شركة الطباعة الفنية المتحدة.

46. الواحدي، علي بن أحمد بن محمد الشافعي (١٤١٥هـ).*الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. ط1.دمشق، بيروت: دار القلم, الدار الشامية.

References:

1. Holy Quran
2. Alzhari, M. (2001). Language refinement (In Arabic), v.1 (investigated: Mohammed Awad Merib), *Dar Ihya Altorath Alarabi,* Beirut, 2001.
3. Alathubi, M. (1426-1436 h) Baḥr al-muḥīṭ al-thajjāj fī sharḥ Ṣaḥīḥ al-Imām Muslim ibn al-Ḥajjāj (In Arabic), v1, *dar ibn Aljawzi*.
4. Aliskafi, M. (1422-2001), Dora the download and the surprise of interpretation (In Arabic), v1, (investigated: Prof. Mhammed Mustafa Ieden), *Um Alqua'a University*.
5. Albukhari, M. (1422 h). Sahih Bukhari (In Arabic), v1, (investigated: Mohammed Zuhir Nsir Alnasir), *Dar Touq A;najah*, (Copied for the Sultanate by adding the numbering, numbering by Muhammad Fouad Abdel-Baqi).
6. Albaidawi, A. (685h),v1, interpretation lights download and secrets of interpretation (In Arabic), investigated: Mohammed Abdularhamn Almarashli, Beirut*: Dar Ihya Alturath Alarabi*.
7. Altrmithi, M. (1395h-1975). Sunan al-Tirmidhi (In Arabic) v2, (Investigated: Ahmad Mohammed Shaker (v1&2), & Mohammed Abdulbaqi (v3), Ibrahim Atwah Awad (V4,5), Egypt: *Mustafa al-Babi al-Halabi Publisher*.
8. Ibn Taymiyyah, A. (1416h- 1995). Majmoo-al Fatwa (In Arabic), (Investigated: Abdulrahman M.), *King Fahd Complex for the Printing of the Holy Quran*, Madina El Monawara.
9. Ibn Taymiyyah, A. (1406h-1986). Approach the Sunnah of the Prophet in denying the words of the fatalistic Shiites (In Arabic), (Investigated: Mohammed R.), v1, *Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University*.
10. Altamimi, M. (1419h- 1999). The belief of the Sunnis and the group in the standardization of names and attributes(In Arabic), v1, Riyadh: Adwa Alasalf.
11. Aljarjani, A. (1403h-1983). Definitions book, (In Arabic), Investigated: Adjusted and corrected by a group of scholars under the supervision of the publisher), v1, Beirut: *Dar Alkotob Alilmeah*.
12. Aljazairi, J. (1424h- 2003). The easiest of interpretation for the words God (Quran) (with a retinue of the good river) (In Arabic), v5, *Maktabat al-'Ulum wa-al-Hikam*, al-Madinah Almonawrah.
13. Ibn Al-Jazzi, M., Alghenradi, A. (1416h). Science facility for download (In Arabic), Investigated: Dr. Abdullah Alkhaldi, v1, Beirut: *Dar Alarkam Bn Abi Alarkam*.
14. Al-Jalalain, J. (864h),Alsouti, J, Interpretation of Al-Jalalain (In Arabic), Cairo*: Dar Alhadith*.
15. Alhakem, A. (1411h- 1990). Mustadrak ala al-Sahihain, (In Arabic), Investigated: Mustafa Abdulqader, v1, Beirut*: Dar Alkotob Alilmiyah*.
16. Alhumairi, N. (1420H- 1999). Shams science and medicine Arabs talk of Science (In Arabic), Investigated: Dr. Hussain Bn Abdullah Alomari, et. al., V1, Beirut: Dar Alfehr Almu'aser, Damascus: Dar Alfekr.
17. Alharimli, F. (1416 h- 1996). Rahman Tawfiq in the lessons of the Quran (In Arabic), Investigated: Abulaziz Al Mohammed, V1, Riyadh: Dar Alasimah, Alqusim: Dar Alalyan for publishing and distribution.
18. Alkhatib, M. (1383h-1964), Clearer explanations, (In Arabic), v6, *The Egyptian Press and Library*.
19. Abo Hayyan, M. (1403 h- 1983). Masterpiece including the judicious Quran strange (In Arabic), Investigated: Samir Almajthoub, v1, Almaktab Alislami.
20. Alrazi, M. (1420h- 1999). Mukhtar As-Sahah, (In Arabic), Investigated: Yousef Alshakh Mohammed, v5, Beirut- Saida: *Alassrya Library – Aldar Alnamothjeah*.

21. Al-Ragib Alasfahani, A. (1420-1999). Interpretation of Al-Ragheb Al-Isfahani (In Arabic), Investigated: Dr. Mohammed Abdulaziz Bsuni, v1, Faculty of Art – Tnta University.
22. Alraghib, A. (1412 h). Vocabulary in strange Qur'an, (In Arabic), Investigated: Sfwan Adnan Aldawdi, v1, Beirut*: Dar Alqalam,* Damascus: *Aldar Alshamiah*.
23. Alzubaidi, M. Crown of the bride from the jewels of the dictionary (In Arabic), Investigated: A group of investigators, *Dar Alhedayah*.
24. Alzahili, W. (1418h) Enlightening interpretation in doctrine, law and method (In Arabic), v2, Damascus*: Dar Alfker Almuaser*.
25. Alsafarnini, M. (1402h- 1982). The bright lights of the gorgeous lights and the brightening of the archaeological secrets to explain the last pearl in the age of the sick group, (In Arabic) v2, Damascus: *Alkhafiqeen Library*.
26. Alsama'ni, A. (1418h- 1997), Interpretation of Quran (In Arabic), Investigated: Yaser Ibrahim & Ghaim Abbas, v1, Riyadh: *Dar Alwatan*.
27. Alshawkani, M. (1414h). Fateh Al-Qadeer (In Arabic), v1, Damascus: Dar Ibn Ktheer, Beirut*: Dar Alkaem Altayib*.
28. Altabari, A. (225 – 310h). Collector statement about the interpretation of the Quran (In Arabic), Makkah: *Dar Altarbiah Wa Alturath*.
29. Abo Obaid, A. (1384 h- 1964). Modern strange (In Arabic), Investigated: Mohammed Abd Almueed Khan, v1, Haidar Abad: Dar Alma'arif Alothaniyah.
30. Ibn Abi Aliz, M. (1417h- 1997). Interpretation of Al Aqida Al Tahawiyya (In Arabic), Investigated: Shuaib Alarnaout, Abdullah Alturky, v10, Beirut: *Moa'ssasat Alresalah*.
31. Afifi, A. Memorandum of Unification (In Arabic), v1, Kingdom Of Saudi Arabia*: Ministry of Islamic Affairs, Auqaf, Call and Guidance*.
32. Alfaiumi, A. The lamp enlightening in a strange big explanation, Beirut: Almathabah Alilmiyah.
33. Alqarni, A. (1436h). Knowledge in Islam, its sources and fields (In Arabic), v4, *altaseel for studies and research*.
34. Ibn Alqaiem, M. Badaa'i Benefits (In Arabic), Beirut*: Dar Alketab Alarabi*.
35. Ibn Alqaiem, M. (1416 h- 1996). Runways between the houses of worship and you beware we use (In Arabic), Investigated: Mohammed Mu'tasem Billah Albagdadi, v3, Beirut: *Dar Alketab Alarabi*.
36. Ibn Katheer, I. (1420 h – 1999), interpretation of Holy Quran (In Arabic), Investigated: Sami Mohammed Salamah, v2, *Dar Taibah for publishing & Distribution*.
37. Academy of the Arabic Language, Cairo,(Ibrahim Mustafa / Ahmed Al-Zayat / Hamid Abdel-Qader / Muhammad Al-Najjar), Al-Mu'jam al-Wasit, *Dar Alda'wah*.
38. Makki, H. (1429 h- 2008), Guidance to the attainment of the end in the science of the meanings of the Qur'an and its interpretation and its provisions (In Arabic), Investigated: A group of university theses at the College of Graduate Studies and Scientific Research - University of Sharjah, v1, (without pub.).
39. Almakhzumi, M. (1410 h- 1989). Mujahed's Interpretation (In Arabic), Investigated: Dr. Mohammed Abdulsalam Abo Alnel, v1, Egypt: *Dar Alfker Alislami Alhadethah*.
40. Al-Naisaburi, M. Sahih Muslim (In Arabic), Investigated: Mohammed Fuad Abdulbaqi, v1, Beirut: *Dar Ihya Alturath Alarabi*.
41. Al-Ma'aitah, A. (1437 h- 2016). The efforts of the Sahabah and followers in determining the belief and responding to the Firaq (In Arabic), PhD thesis, Umm Al Qura University, v1, Amman: *Alatharia for Publication and distribution*.
42. Almaidani, A. (1438 h- 2016). Islamic faith (In Arabic), v 17, Damascus: *Dar Alqalam*.
43. Ibn Almonther, M. (1408h). Persuasion by Ibn al-Mundhir (In Arabic), Investigated: Dr. Abdullah Abdulaziz Aljabrin, v1, (Without Pub.).
44. Alnasfi, A. (1419 h- 1998), Alnasfi Interpretation (perceptions and facts of interpretation)

(In Arabic), Investigated: Yousef Ali Bediwi, v1, Beirut: *Dar Alkalem Al taib*.

45. Ibn Hisham, A. Prophet Biography by Ibn Hisham (In Arabic), Investigated: Taha Abdula'uf Sa'ad, United technical for printing.
46. Alwahidi. A. (1415 h). Al Wajeez in the interpretation of the Holy Quran (In Arabic), Investigated: Safwan Adnan Dawdi, v1, Beirut: Dar Alqalam, Damascus: Aldar Al-Shamiah.